

الحرب لم تتوقف بالنسبة إليه حتى حين يكون بعيداً عن دائرة الخطر جان مارك نحاس: أنا رسام ولست ملوناً... أعبّر بسرعة شريط سينمائي

كان مقرراً أن يقدم الفنان جان مارك نحاس معرضه في هونغ كونغ، لو لم تتعرض حرب تموز للهتاف أيضاً، ما جعل زيكو هاوس ملاذاً آخر لأعمال الفنان، التي اتخذت هذه المرة أسلوب التجهيز، فكانت شرائط الرسوم، والمجسمات، والفيديو، والإضاءة، وسوى ذلك من التقنيات القديمة والجديدة في تجربة نحاس، التي تركزت هذه المرة على الحالة الكابوسية، التي كثيراً ما مثلتها أعماله، بل إن المعرض الجديد شهد ارتفاعاً في اللهجة التعبيرية، وتصعباً في الإشارات الاحتجاجية، وفجائية في تصوير الواقع الأساسي الذي عاشه ويعيشه لبنان، فحمل عنوان «رأساً على عقب» عن معرضه هذا، ومن خلاله عن تجربته، هذا الحوار:

معرضك الجديد استمراراً للتعبير عن الحالة الكابوسية التي بدأتها في معارض سابقة، هل سوف تستمر هذه الحالة في نتاجك؟

لا، ليس بالضرورة، لكن الحالة التي عشناها في لبنان كانت صعبة ولما نزل، فنحن خرجنا من الحرب، لكن، كما تعلم، معرضي الأخير جاء بعد حرب تموز، فالحرب تلاحقنا، وأنا فنان أنطلق في فني من موقف، لا أرسم للمصالوات، وكوني لبنانياً أشعر بأن لي محلاً من الإغراب، ولا يد من التعبير عن تلك الخوف من الحرب، التعبير عن رفض الحرب والعنف ورفض العودة إلى المأساة التي عشناها ونعيشها، بدأت الإعداد لمعرضي قبل حرب تموز، لأنني كنت أخوف من حرب أهلية جديدة في لبنان.

نعرف أنك وعيت في جو الحرب، وعشتها بين عمر الـ ١٧ والـ ١٧ سنة، هل تستحضر كل هذه الكوابيس التي ترسمها من مشاهدات تلك المرحلة؟

أؤكد لا، فالحرب لم تتوقف بعد هاتين السنتين، فبعد سفرني كنت أتابع الحرب من بعيد، عبر شاشات التلفزة، بقلق أكبر، الصدمة، في الخارج، تكون أقوى وأشد إيلاماً، هناك فرق في أن ترى الحرب من قرب أو من بعد، الأمر يكون صعباً جداً عندما تعرف أن أمك والعموم في دائرة الخطر وأنت بعيد عنهم لا تستطيع أن تفعل شيئاً، الحالة نفسها تشبه ما حدث مؤخراً في حرب تموز المعاصرة، حيث كنت بعيداً عن القصف، لكن

أحبائي وأصدقائي يعيشون حالة صعبة، مسح الذاكرة

هناك من يعتبر أنه يمكن مسح ذاكرة الحرب بورد، ويعبر عن رفض العنف باستبداده من اللوحة، كيف تدير موقفك؟

السؤال الذي سألته لنفسه، بعد معرضي الأخير، هو: هل نحن ولبنان في كابوس الحرب أم أن الحرب موجودة خارجنا. جريت الفكر إلى رسومي الأخيرة وتحليلها على هذا الأساس، وسألت: هل الحرب هي أساس ما أرسم أم أن حساسيتي الخاصة تأخذني إلى هذا الموقف مرة، ومرة إلى سواه؟ طرحت على نفسي وأطرح الكثير من الأسئلة، من دون أن أجد أجوبة عنها، بل تساءلت مرة: هل أنا، الفنان اللبناني، مختلف في هذا المجال عن فناني آخر؟

في مرحلة سابقة على هذا المعرض رسمت يومياتك البعيدة عن الحرب تقريباً، هل تذكر، بعد هذا المعرض، في العودة إلى حياة فنية بعيدة عن الويلات والكوابيس؟

أؤكد لا، أسخّر عملي للحرب، أنا أرسم الحياة بما فيها من كوابيس وأيام مختلفة، ولا يمكن أن أكون فنانياً لبنانياً إذا لم أرسم الحياة في لبنان، لست فنان حالة واحدة أو جهة أو مكان، ولا أستطيع أن أكون فنانياً لبنانياً إذا لم أعرض في الإشرافية وحارة حريك والحمرا وجونية.

أراك تعبر عن العنف بعنف أيضاً.



نحاس: الأسود بالميزان (عباس سلمان)

في السينما تخرج من فيلم لكوبولا فنكون جاهزاً لقتل أحد، أنا أريد العكس، أصور العنف لأكره الناس به.

لكن العنف يخرج من داخلك، هل لتسلي منه أنت أم لتسلي الآخرين؟

أنا ضد العنف الموجود في داخلي ودواخلي الآخرين.

وضعت في المعرض بيتاً لفيلم هيتشكوك الشهير «الطيرة»، ف شعرنا بأنك تقرب منه في ناحيتين، الأولى من حيث التكنيك السينمائي، والثانية لتستمد التعبير العنفي من سينما.

أنا قريب من هيتشكوك بتعبيري العنفي وبشريطي السريع، لا أستطيع أن أستمر ساعات طويلة في رسم لوحة، فأنا أعبّر عن عواطفني وأحاسيسي بسرعة شريط سينمائي.

بالأسود والأبيض

أنت تعتمد ذلك الأسلوب التعاقبي، حيث إن الرسوم تتوالى متسلسلة الواحدة بعد الأخرى، كما في شريط يروي قصة أو يصور حالة.

لا أتعلم السرد في لوحاتي، هي تشبهني وتصور حالة من حالاتي، من دون ذلك التفصيل السرد، لا أعتمد الدقة ولا الخبر، أهرب من التفاصيل، وهذا ما جعلني أرسم بالأسود والأبيض، وهيتشكوك أيضاً أنتج فيلمه المذكور بالأسود والأبيض.

أقول لك أنا كسرت اللوحة وقطعتها إلى عدة أقسام، ثم، بعد ذلك، جريت أن أستخدمها كسلسلة تتماشى مع جو معماري، فليس لدي لوحة مستقلة، هي مكونة من أجزاء لا تتجزأ، وإن كانت تشكل مبنى واحداً.

أعود إلى ذاكرتك الفنية، فقد كان جان فورتية يرسم وجوه أولئك الذين كان يراهم يساقون إلى الإعدام، أنت من تتذكر عندما ترسم وجوه أبطالك أو شخصياتك، من تتذكر من الفنانين والتجارب الفنية؟

أنا أعتبر نفسي وارثاً لغويا وبيكاسو وهيتشكوك وسواهم، أتطلع أحياناً إلى موقعي وأسأل: أين أنا من كل هذه الخارطة؟ أتطلع إلى الوقت الذي تتطلع إلى لوحاتي فلا تتذكر أحداً، همي أن أكون أنا نفسي بمعزل عن كل هؤلاء الكبار، أنتظر ذلك اليوم الذي لن أعود فيه أرى أحداً خلف لوحاتي، علي أن أصل إلى ذلك اليوم.

بيكاسو قال ما معناه أنه بقي أربعين سنة يتعلم الرسم، وأربعين أخرى لينسى ما تعلم، أشعر بأنني بدأت أنسى أشباح غويا وبيكاسو...

غويا كان يعتمد ما يسمى ميثولوجيا الواعي، أي



من أعمال المعرض

ذلك التحرك الواعي بين الأسطوري والواقعي، كيف يمكن أن تصف لنا حركتك بين هذين المستويين؟

السؤال صعب، أستطيع أن أصف لك ما أفعل، بداية، تبدو لي اللوحة عملاً تجريبياً علي أن أقيم الميزان فيه بين الأسود والأبيض، ثم تبدأ الخطوط تتحرك، مستقيمة وملتوية، فتنظر أشكال حيوانية وإنسانية، الخطوط هي التي تتعطف في اتجاه الشكل، من دون أن أتقصد ذلك، فأنا لا أصل إلى خلاصات وأجوبة، قلت لك أنا أبداً الرسم فتبدأ الأسئلة تتوالى، لوحاتي هي مجرد أسئلة، أرسم كثيراً لأطرح الكثير من الأسئلة، ولا أدعي أنني توصلت إلى واعي ما محدد، أو إلى تشخيص نهائي، وسأبقى كذلك.

هناك سؤال لا بد منه، لماذا الأسود والأبيض فقط، وقليلاً ما تدخل الألوان إلى لوحاتك؟

الأسود لون الجدية وليس لون التعاسة فقط، ثم أنا رسام ولست ملوناً، الرسم أهم شيء عندي.

لكن نلاحظك تلون كثيراً بالأسود.

نعم، لكنني ألتزم الأسود، كي لا أكون ثرثاراً باللون، في وقت أشعر فيه بأنني لست ثرثاراً بالرسم أو الخط، أنا فنان متكشف، في الأساس، والعبرية تكون في النقش لا في التزيين اللوني، لا أستطيع أن أبقى عشرات الساعات لأرسم لوحة، ما دمت أستطيع إنهاءها ب دقائق معدودة، أحب أن أفتقد في التفاصيل وأبتعد عن الثرثرة.

لا تنسى أن التلون بالألوان الأخرى يستطيع أن يخفي الأخطاء، أما الرسم بالأسود فيفضح الفنان إذا لم يكن قادراً، لأنه يحتاج إلى ميزان دقيق.

تستعمل دائماً الخط العريض.

اشتغلت بالخط الرفيع، لكن الخط العريض أسرع.

الكابوسية التي تشتغل بها معرضك تذكر بكابوسية سمير خداج، وقد اشتغلت معه في معرضه الأخير «برج بابل» الذي أقامه في المركز الثقافي الفرنسي، هل هناك مشاريع أخرى معه؟

أنا طلبت حينها أن اشتغل معه، بسبب محبتي لعمله وانسجامي معه، أشعر بأن فلسفته الفنية قريبة من فلسفتي، وأهدافه تشبه أهدافي، وأهم شيء أن لديه شيئاً يعطيني إياه، لو أنه في لبنان لتعاملت معه في مشاريع أخرى.

إلى جانب من من الفنانين تشعر بالألفة والقرب الفني؟

أرتاح للموجة الشبابية الجديدة التي تعرض أعمالاً تشكيلية أو حتى أفلاماً.

لأول مرة تقدم معرض تجهيز، وهنا ما يفعله عدد من الفنانين الشبان اليوم، هل تتجه أكثر نحو التجهيز في معارض لاحقة؟

ربما يحصل ذلك، لا بد من الاتجاه نحو تقنيات جديدة، في المعرض نفسه عملت فيديو آرت مدته أربع دقائق، لا أتطلع إلى التخلي عن الرسم كلياً، لكن لا بد من الاتجاه نحو التجهيز.

حاوره: أحمد بزون